

كان المئين مباد ، وهذه مثنان وقد تكون المثنان سور القرآن كلها قصارها وطوالها ويقال من ذلك قول الله عز وجل - كتابا متشابها مثناني - ومنه قوله تعالى - ولقد آتيناك سبعا من المثنى والقرآن العظيم - وإنما سمي القرآن مثناني لأن الأنبياء والقصص تثنى فيه ، ويقال المثناني في قوله عز و علا - ولقد آتيناك سبعا من المثنى والقرآن العظيم - يريد آيات سورة الحمد ، سماها مثناني لأنها تثنى في كل صلاة . والمفصل ما يلي المثناني من قصار السور سميت مفصلا لقصرها وكثرة الفصول فيها بسطر بسم الله الرحمن الرحيم . وأما آل حاميم فإنه يقال إن حميم اسم من أسماء الله عز وجل أضيفت هذه السورة إليه كأنه قيل سورة الله لشرفها وفضلها قال الكميت :

وجدنا لكم في آل حاميم آيةً تأولها مناتقي ومعرب

وقد يجعل حاميم اسما للسورة ويدخله الاعراب ولا يصرف ومن قال هذا قال في الجمع الحواميم كما يقال طيس والطواسين

﴿غريب سورة يونس عليه السلام ومشكلها﴾

قوله عز وجل ( قَدَمَ صِدْقٍ ) يعنى عملا صالحا قدموه . ( وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ) أى جعله ينزل كل ليلة ينزل من النجوم وهى ثمانية وعشرون منزلا فى كل شهر ( إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ) أى لا يخافون ( وَكَوَيْعَجَلُ اللَّهِ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ ) إذا دعوا به على أنفسهم عند الغضب وعلى أهلهم وأولادهم واستعجلوا به كما يستعجلونه بالخير ويسألونه الرزق والرحمة

(لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) أى لما توافقى الكلام حذف للاختصار كأنه قال ولو يعجل الله للناس إجابتهم فى الشر الذى يستعجلونه استعجالهم بالخير لهلكوا ﴿غ﴾ (وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً) يعنى فرجا من بعد كرب (إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا) أى قول بالظن والحيلة ليجعلوا لتلك الرحمة سببا آخر (إِنَّ رَسُولَنَا يَكْتُبُونَ مَا مَكْرُونَ) أى ما تقولون (وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) أى نظرة إلى يوم القيامة (أَوْ بَدَلَةٌ) كانوا يقولون للنبي ﷺ اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة (وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) أى ولا أعلمكم به (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) دنوا للهلكة وهو استعارة وأصل هذا أن العدو إذا أحاط ببلد فقد دنا أهله من الهلكة. (فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ) يريد أن الأرض أنبتت بنزول المطر فاختلط النبات بالمطر فاتصل كل واحد بصاحبه (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) أى زينها بالنبات. وأصل الزخرف الذهب، ثم يقال للنقش وللنور والزهر، وكل شىء زين زخرف. يقال أخذت الأرض زخرفها وزخارفها، أى زخرت بالنبات كما ترخر الأودية بالماء (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) قد ذكر فى باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه حيث يخاطب الشاهد بشىء ثم يجعل الخطاب له على لفظ الغائب، وكذلك قول الله عز وجل - حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة - ومثله - وما آتيتهم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون - ﴿غ﴾ (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) أى على ما أنبتته من حب وثمر (كأن لم تغن بالأمس) أى كأن لم تكن عامرة بالأمس.

والمغاني : المنازل . واحدها مغنى وغنيت بالمكان اذا أقمت به ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى ) أى المثل ( وَزِيَادَةٌ ) التضعيف حتى تكون عشراً وسبعائة وما شاء الله ، يدل على ذلك قوله عز وجل - وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمَثُلُهَا وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَهْرٌ وَلَا ذُلٌّ - أى لا ينفشها غبار وكذلك - القرة - ( مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ) أى من مانع ( كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ) جمع قطعة ومن قرأها قطعا من الليل أراد اسم ما قطع تقول قطعت الشيء قطعا فتنصب أول المصدر واسم ما قطعت منه فسقط قطع ( فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ) أى فرقنا بينهم وهو من زال يزول وأزلته ( هُنَالِكَ تَتْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ ) أى تقرأ فى الصحف ما قدمت من أعمالها ومن قرأتلو أراد تختبر ( حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ ) أى سبق قضاؤه ( أَمَّنْ لَا يَهْدِي ) أراد من لا يهتدى فأدغم التاء فى الال . ومن قرأها يهدى خفيفة فانها بمعنى يهتدى . قال الكسائو : يقول قوم من العرب : هديت الطريق بمعنى اهديت ( وما كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ) أى يضاف إلى غيره أو يخلق ( وَلَمَّا يَا تِهِمْ تَأْوِيلُهُ ) أى عاقبته ( قل لى وَرَبِّي ) لى : بمعنى بلى ، وهى تآتى قبل اليمين صلة لها . ﴿ غ ﴾ ( قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ) فضله الاسلام ورحمته القرآن ( يُفِيضُونَ فِيهِ ) أى يأخذون فيه يقال أفضنا فى الحديث ﴿ ش ﴾ ( وما يَعِزُّبُ عَنْهُ ) أى ما يبعد ولا يغيب ( مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ) أى وزن نملة صغيرة ( لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يقال الرؤيا الصالحة ( وَفِي الْآخِرَةِ ) الجنة ( لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ) أى لا خلاف

لمواعيده (وان هم الا يخرصون) أى يجسسون ويخزون (ان عندكم من  
سبلتان بهذا) أى ما عندكم من حجة (فاجمعوا أمركم وشركاءكم) أى  
فاجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة) أى غما عليكم  
كما يقال كرب وكربة (ثم افضوا إلى) أى اعملوا بما تريدون (ولا تنظرون)  
ومثله - فاقض ما أنت قاض - أى اعمل ما أنت عامل (اجيئنا بالتفينا) أى  
لتصرفنا يقال : نمت فلانا عن كذا إذا صرفته . والالتفات منه انما هو  
الانصراف عما كنت مقبلا عليه (وتكون لكما الكبرياء في الأرض)  
أى الملك والشرف (على خوف من فرعون وملائيمهم أن يفتنهم) الملائم  
الأشراف والأصحاب أن يفتنهم وأن يقتلهم ويمذبهم (واجملوا بيوتكم قبلة)  
أى نحو القبلة ويقال : اجملوها مساجد (اطمئن على أموالهم) أى اهلكها  
وهو من قولهم طمس الطريق اذا عفا ودرس (واشدد على قلوبهم) أى  
اقسها (فاتبعهم فرعون) لحقهم يقال : اتبعت القوم لحقهم وتبعهم كنت في  
إثرهم (وعدوا) أى ظلما (فاليوم نجيت بيدك) قال أبو عبيدة : نلتك على  
نجوة من الأرض، أى ارتفاع. والنجوة والنبوة ما ارتفع من الأرض بيدك  
أى وحدك (لتكون لمن خلفك آية) أى بعدك (بوانا بنى إسرائيل مبوءاً  
صديق) أى أتزلنا من منزل صدق . ومن باب التعريض : قوله جل ثناؤه  
- فان كنت في شك مما أنزلنا إليك - وقد ذكره أبو محمد في باب الحكاية  
عن الملحدين الذين ادعوا أن في القرآن تناقضا واختلافاً فقالوا في هذه  
الآية : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم شك فيما أتى به جبريل عليه السلام ؟ وكيف

يدعو الشاكين وهو على مثل سبيلهم؟ وكيف يرتاب بما يأتيه به الروح  
 الأمين، ويأتيه البلج واليقين بنجر أهل الكتاب عنه أنه حق وهم يكذبون  
 ويحرفون، ويقولون على الله مالا يسامون؟ فرد عليهم أن المخاطبة للنبي  
 ﷺ والمراد غيره. قال أبو محمد: في هذه الآية تأويلات ﴿أحدها﴾ أن  
 تكون المخاطبة لرسول الله ﷺ والمراد غيره من الشكك. لأن القرآن  
 نزل عليه بمذاهب العرب كلها وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء يريدون غيره  
 ولذلك يقول متمثلهم: \* إياك أعني واسمعي يا جاره \* ومثله قوله عز وجل  
 - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ كَانَ عَلِيماً  
 حَكِيماً - الخطاب للنبي ﷺ والمراد بالوصية والعظة المؤمنون، يدلك على ذلك  
 قوله تعالى - وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ  
 خَيْراً - ولم يقل بما تعمل خيراً. ومثل هذه الآية قوله - واسأل من أرسلنا  
 مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا - يعني أهل الكتاب فالخطاب للنبي ﷺ والمراد  
 المشركون. ومثل هذا قول الكميت في مدح رسول الله ﷺ :

إلى السراج المنير أحمد لا      تعدلني رغبة ولا رهبة  
 عنه إلى غيره ولو رفع ال      ناس إلى العيون وارتقبوا  
 وقيل أفرطت بل قصدت ولو      عنقني القائلون أو ثلبوا  
 لـج بتفضييك اللسان ولو      أكثر فيك اللجاج واللجب  
 أنت المصنفي المحض المهدب في الد      سبة إن قصر قومك النسب

فالخطاب للنبي ﷺ وإنما أراد أهل بيته؟ فوري عن ذكرهم به وأراد

بالمؤمنين واللائمين بنى أمية وليس يجوز أن يكون هذا للنبي ﷺ لأنه ليس من المسلمين أحد يسوءه مدحه ﷺ ولا يعنف قائلًا عليه، ومن ذا يساوى به أو يفضل عليه؟ حتى يكثر في مدحه الضجاج واللجب؟ وإن الشعراء ليمدحون الرجل من أوساط الناس فيفردون ويطنبون ويفلون وما يرفع الناس إليهم العيون ولا يرتقبون فكيف يلام على هذا الاقتصاد في مدح من الإفراط في مدحه تفريط؟ ولكنه أراد أهل بيته . والتأويل الآخر أن يكون الناس كانوا في عصر النبي ﷺ أصنافًا، منهم كافر به مكذب لا يرى إلا أن ماجاء به الباطل، وآخر مؤمن به مصدق يعلم أن ماجاء به الحق، وشاك في الأمر لا يدري كيف هو فهو يقدم رجلا ويؤخر رجلا، فخطب الله عز وجل هذا الصنف من الناس فقال - فان كنت - أيها الانسان - في شك مما أنزلنا إليك - من الهدى على لسان محمد - فسل - الأكبر من أهل الكتاب والعلماء - الذين يقرءون الكتاب من قبلك - مثل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي، وتميم الداري وأشباههم، رحمة الله عليهم. ولم يرد المعاندين منهم فيشهدون على صدقه ويخبرون بنبوته، وما قدمه الله عز وجل في الكتب من ذكره وقال - أنزلنا إليك - وهو يزيد غير النبي ﷺ، كما قال في موضع آخر - لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم - ووحيد وهو يريد الجمع كما قال - يا أيها الانسان ماغرك ربك الكريم - ويا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا - وإذا مس الانسان ضر - ولم يرد في جميع هذا إنسانا بعينه إنما هو لجماعة الناس ومثله قول الشاعر